

نداء قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي (دام ظله) 84 / د / 6

إلى حجاج بيت الله الحرام

الزمان والمكان :: 8 / ذي الحجة / 1426 هـ - طهران

المناسبة: أيام الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}.
سورة البقرة/ الآية 200

الحج نور للقلوب وشفاء للنفوس

الإخوة المسلمون والأخوات المسلمات؛ إنَّ أيام الحج هي أيام الأمل والبشرى، حيث يبعث جلال التضامن بين قاصدي بيت التوحيد الأمل في القلوب من جهة، ويُبشِّر انتعاش النفوس ببركة ذكر الله بانفتاح أبواب الرحمة من جهة أخرى.

وبعد أن يؤدي الحجاج مناسكهم المليئة بالرموز والأسرار، والمتربعة في نفسها بالذكر والخشوع، يُدْعَوْنَ مرة أخرى إلى ذكر الله.

وهذا التأكيد إنما يتم على أساس أن ذكر الله ينير القلوب الكئيبة ويبعث فيها نور الإيمان والأمل، وعندما يكون القلب آملاً مؤمناً فإنه يُمكن الإنسان من الطيِّ السليم للمنعطفات الحياتية الخطيرة الوعرة، والوصول إلى قمم الكمال المادي والمعنوي.

إنَّ معنوية الحج تكمن في ذكر الله الذي يسري روحاً في كل عمل من مناسك الحج، ويجب أن يبقى هذا النبع المبارك بعد انقضاء الحج متدفقاً باستمرار، وهذه الحصيلة حيّة على الدوام.

إنَّ الإنسان يقع في ميادين حياته المتنوعة فريسة غفلته.

وحيثما تكون الغفلة يكون الانهيار الأخلاقي والانحراف الفكري والهزيمة الروحية.

وهذه التداعيات قد تؤدي بدورها – بالإضافة لاضمحلال الشخصية الفردية للإنسان – إلى هزيمة الشعوب وانهيار الحضارات.

إنَّ الحجَّ يشكّل إحدَى الخطط التي وضعها الإسلام لمحو الغفلة، وكان بُعدُه العالمي يعلن حقيقةً أنَّ الأمة الإسلامية مكلفة في شخصيتها العامة – بالإضافة إلى الواجب الفردي لكل مسلم – بالعمل على محو الغفلة من وجودها.

إنَّ عبادات الحجِّ ومناسكه تمنحنا فرصة الخلاص ولو مؤقتاً من الأسر والتبعية الرعناء للذَّة والهوى البطر، ويملاً الإحرام والطواف والصلاة والسعي والوقوف وجودنا بذكر الله والقرب إلى ساحته، وغمر النفوس بلذَّة الأنس بالله.

ويعرّفنا جلال هذا التجمّع الفريد وعظمته على واقع الأمة الإسلامية العظيمة التي تتعالى على فوارق الشعوب والقوميات والألوان واللغات.

فهذا الحشد المتراس المتناغم، وهذه الألسن كلها تترنم بحديث واحد، وهذه الأبدان والقلوب التي تتجه إلى قبلة واحدة، وهؤلاء الأفراد الذين يمثلون عشرات الأقطار والشعوب هؤلاء جميعاً يرتبطون بكيان واحد ومجموعة عظيمة هي الأمة الإسلامية.

والواقع أنَّ الأمة الإسلامية مرّت بفترة طويلة وهي في غفلة عن ذاتها؛ فكانت الحصيلة المرّة لتلك الغفلة ما نلحظه اليوم من التخلف العلمي والعملي، والخواء في ميادين السياسة والصناعة والاقتصاد.

والآن – وإزاء ما نشهده من تطور باهر حدث أو يحدث في العالم – فإنَّ على الأمة الإسلامية أن تبادر إلى التعويض عن أنماط غفلتها الماضية، وهذا ما نشهد – لحسن الحظ – بعض بوادره في عصرنا الحاضر مما يبشّر بانطلاق حركة التعويض هذه.

ويجب أن لا نشكّ مطلقاً في أنّ عالم الاستكبار يرى في الصحوّة الإسلاميّة واتحاد المسلمين وتقدم شعوبهم في ميادين العلم والسياسة والإبداع أكبر عقبة بوجه سلطته وهيمنتته على العالم، ولهذا فهو يعمل على مكافحته وإيقافه بكل ما لديه من قوة.

وها هي تجربة عصري الاستعمار والاستعمار الحداثي ماثلة أمام الشعوب الإسلاميّة وهي تواجه اليوم إستعمار ما بعد الحداثة فيجب أن تستفيد من تلك التجربة فتتمنع العدو من تكرار تسلّطه الممتد – من جديد – على مقدراتها ومصيرها.

الاستكبار والديمقراطية المزيفة

لقد استخدمت القوى الغربيّة المهيمنة في تلك العصور الكالحة المرّة كل الوسائل الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة لإضعاف الأقطار والشعوب الإسلاميّة، وفارضة عليها التفرقة والفقر والجهل، وقد ساهم في تحقق ذلك الضعف النفسي وغفلة الكثير من رجالات السياسة وعدم تحمّل الكثير من النخب الفكرية لمسؤولياتهم مما أدى إلى نهب ثرواتنا والاستخفاف بنا، بل وإنكار هويتنا والقضاء على استقلالنا، وعدنا نحن الشعوب الإسلاميّة نضعف يوماً بعد آخر، وراح الغزاة الناهيون الطامعون المتسلّطون يزدادون قوة باطراد.

واليوم – وببركة تضحيات المناضلين وشجاعة القادة في بعض المناطق من العالم الإسلامي وإخلاصهم، حيث اتسعت أمواج الصحوّة الإسلاميّة فدفعت الشباب والنخب وأفراد الشعب في كثير من الأقطار الإسلاميّة إلى الساحة، وافتضحت الصورة الغادرة للمتسلّطين لدى أكثر من السياسيين والقادة المسلمين – راح أساطين الاستكبار – من جديد – يستخدمون أساليب مأكرة جديدة لاستدامة سيطرتهم على العالم الإسلامي وتقويتها.

وشعار نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان هو أحد هذه الأساليب الخدّاعة، فها هو الشيطان الأكبر – وهو الذي يجسّد الشر والعنف ضد البشرية – يرفع لواء الدفاع عن حقوق الإنسان، ويدعو شعوب الشرق الأوسط إلى الديمقراطية.

إلا أن الديمقراطية التي تسعى أمريكا لتحقيقها في هذه الأقطار تعني أن تفرز الانتخابات – الشعبية في ظاهرها والأمريكية في الواقع، بمعونة التآمر والرشوة والدعاية الانتخابية المغرية الخادعة – عملاء طيّعين مطيعين لأمريكا يحققون لها أهدافها الاستكبارية وفي طليعتها إيقاف المد الإسلامي وإقصاء القيم الإسلامية عن الساحة تارةً أخرى.

إن كل الوسائل الإعلامية والسياسية لأمريكا وغيرها من المتسلطين قد عبّئت اليوم لكي تعرقل نهضة الصحوة الإسلامية أو قمعها اليوم، كما أن على العلماء والمرجعيات الدينية والمتقنين والجامعيين والكتّاب والشعراء والفنانين والشباب والنخب، عليهم أن يتخذوا بكل وعي المبادرة المناسبة ليحولوا دون أن تبدأ أمريكا الجشعة مرحلة جديدة من هيمنتها الاستعمارية على العالم الإسلامي.

إن رفع شعار الديمقراطية من قِبَل الطامعين الذين دعموا لسنين طوال الأنظمة الدكتاتورية في آسيا وأفريقيا والقارة الأمريكية أمر مرفوض بلا ريب، كما أن ادعاء مكافحة العنف والإرهاب من قِبَل من يدعمون الإرهاب الصهيوني ويرتكبون أكثر أنواع العنف الدموي في العراق وأفغانستان، إنما هو ادعاء يثير السخرية، ولذلك فإنّ طرح شعار الدفاع عن الحقوق المدنية من قِبَل الشياطين، الذين شجّعوا باستمرار جرائم إرهابي دموي كـ (شارون) بحق الشعب الفلسطيني المظلوم إنما هو أسلوب مآكر يستوجب اللعن والنفور.

إن أولئك الذين ارتكبوا جرائم غوانتانامو، وأبو غريب، والمعتقلات السرية في أوروبا، والذين احتقروا الشعبين العراقي والفلسطيني، وشكّلوا المجموعات التي تستبيح دم المسلمين باسم الإسلام في العراق وأفغانستان، أولئك لا يحق لهم أن يتحدثوا عن حقوق الإنسان.

إنّ الإدارتين الأميركية والبريطانية اللتين تبيحان تعذيب المتهمين، بل وسفك دمائهم في الشوارع والتنصّت على المكالمات الهاتفية للمواطنين دون إذن من القضاء، ليس لهما الحق في ادعاء الدفاع عن الحقوق المدنية، وإنّ الحكومات التي سوّدت وجه التاريخ المعاصر من خلال إنتاجها واستخدامها

لسلاح النووي والكيميائي ليس لها الحق أن تفرض قيمومتها على مسألة منع انتشار التقنية النووية.

أيها الإخوة المسلمون والأخوات المسلمات:

العالم الإسلامي وحاكمية الشعب وحقوق الإنسان

يمرّ العالم – وخاصة العالم الإسلامي – اليوم بفترة حساسة، فمن جهة يشمل مدّ الصحوّة الإسلامية كل العالم الإسلامي، ومن جهة أخرى تبدو بوضوح الصورة الماكرة لأمريكا وباقي المستكبرين من خلف ستار التزوير والرياء، ومن جهة ثالثة يبدأ التحرك باتجاه استعادة الهوية والقوة في أجزاء من العالم الإسلامي، حيث نجد في بلد له عظمته كإيران المسلمة تتفتح براعم العلم والتقنية الذاتية المستقلة، وتترك الثقة بالنفس أثرها على ترشيح الأجواء السياسية والاجتماعية، فتمتد آثارها إلى ميادين العلم والإعمار، ومن جهة أخرى يسري الضعف والانحطاط في الهياكل السياسية والعسكرية للأعداء.

إنّ العراق اليوم من جانب، وفلسطين ولبنان من جانب آخر يجسّدان ضعف القوة الأميركية والصهيونية وعجزها رغم ادّعاءاتها الكبرى، وإنّ السياسة الأميركية في الشرق الأوسط واجهت في خطواتها الأولى عقبات وإخفاقات تحوّلت إلى سلاح مضاد بيّد المعارضين لها.

إنّ الوضع الحالي يشكّل فرصة للشعوب والحكومات المسلمة كي تمسك بزمام المبادرة وتقوم بعمل عظيم.

إنّ مساعدة الشعب الفلسطيني المظلوم، ودعم الشعب العراقي الواعي، وصيانة استقلال لبنان وسوريا وسائر دول المنطقة واستقرارها، كل ذلك يشكل واجباً إسلامياً عاماً، في حين تفوق مسؤولية النخب السياسية والدينية والثقافية والشخصيات الوطنية والشباب والجامعيين، مسؤولية الآخرين.

وإنّ وحدة أتباع المذاهب الإسلامية، وتآلف قلوبهم، ونبذ الخلافات الطائفية والقومية يجب أن يشكّل أبرز شعارات هذه النخب، كما أنّ التحرك العلمي

والسياسي والجهد الثقافي، وتعبئة كل الطاقات في هذه الطلائع لابدأ أن يكون من أولويات خطابها المعلن.

إنَّ العالم الإسلامي لكي يحقق حاكمية الشعب وحقوق الإنسان، لا يحتاج وصفة خاطئة نقضها الغرب بنفسه باستمرار.

فحاكمية الشعب إنما تُستمد بكل وضوح من التعاليم الإسلامية، كما أنَّ حقوق الإنسان هي من أوضح الأمور التي أكدَّ عليها الإسلام.

نعم، يجب أن نستمد العلم ممن يملكه أينما وأياً كان، إلاَّ أنَّ على العالم الإسلامي أن يسعى للتخلص من حالة التتلمذ الدائم عند الآخرين، وأن يعتمد على طاقاته الذاتية متّجهاً نحو الإبداع والتطور والإنتاج العلمي.

ثم إنَّ القيم الغربية التي جرَّت الغرب إلى الانحطاط الأخلاقي، وأشاعت التحلّل والعنف واستباحة الشذوذ الجنسي والرذائل الأخلاقية من هذا القبيل لا تصلح للتقليد، في حين يشكّل الإسلام بقيمه السامية أروع مصدرٍ للفلاح الإنساني، فعلى النخب في كل الشعوب مسؤولية مؤكّدة لوعي هذه القيم ونشرها.

إنَّ الإرهاب الوحشي الأعمى الذي يتخذ منه المحتلّون ذريعة للهجوم على الإسلام والمسلمين واستمرار غزوهم العسكري أمر ترفضه التعاليم الإسلامية وتدينه، وإنَّ أول المتهمين في هذه الحوادث الإجرامية هم العسكريون الأمريكيون وأجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية التي يشكّل سعيها للتأثير على عملية تشكيل الحكومة في العراق أقرب أهدافها.

أيها الإخوة المسلمون والأخوات المسلمات

إنَّ التوكل على الله تعالى، والاتكال على الوعود القرآنية الحتمية، وتوثيق عرى الوحدة الإسلامية، وأداء فريضة الحج بكل ما فيها من عطاء وغنى مستمد من ذكر الله، واجتماع المسلمين القوي المتراص في المناسك، كل ذلك يمكنه أن يشكّل ضماناً لتحقيق كل الأهداف السامية للأمة الإسلامية ونقطة بدء وانطلاق لهذه النهضة

الشاملة لتكون البراءة قولاً وعملاً من قادة الكفر والاستكبار في هذه الفريضة
نموذجاً عملياً وخطوة أولى على هذا الطريق.

وختاماً أسأل الله تعالى للحجاج الكرام التوفيق وللمسلمين شمولهم في
دعوات الإمام المهدي روي له الفداء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيد علي الخامنئي.